الاحزاب الانكليزية

اقترح علينا بعض وجهاء مصر ادراج مقالة في احزاب الانكليز السياسية واصلها وتاريخها ومبادئها الى غير ذلك مما لا يتعدى حدود العلم الى غيره من المباحث الخارجة عن دائرة المقتطف فوضعنا المقالة التالية مراعين فيها جانب الاختصار محترزين ما امكن من الصراحة في بحث اختلطت فيه الاقوال لاختلاف المشارب واشتبهت الآراء حسب الاغراض والمآرب

الاحزاب في نظر المنتقدين كالدينار في مقامات الحريري فمن اراد ذمها وجد للذم مندوحة واسعة ومن اراد مدحها الفى للمدح اسبابًا لا تحصى . وذلك لان تحزُّب الجماعات في امرٍ دليل انقسام آرائهم من وجه وهذا الانقسام مذموم غالبًا ودليل اتحاد آرائهم من وجه آخر وهذا الاتحاد ممدوح غالبًا وسيأتي معنا بيان الوجهين في ما يلي . ويلوح لنا ان تحزُّب الاحزاب اجدر بالمدح منهُ بالذم لانهُ لا بدَّ منهُ لترقي الاجتماع الانساني في مراتب الكمال ولاستجلاء الحقائق وما كان لازمًا لهذا الترقي كان حسنًا ولو ساءه في عيون بعض الناس . اما لزوم الاحزاب للترقي فيظهر من ان الناس لم يهتدوا الى الحقائق ويرتقوا في سلَّم الكمال الّا بعد ان تشعبت آراؤهم وسعوا وراء الحقيقة احزابًا حتى ادركها حزب منهم فضمَّ البقية اليهِ ووقع اجماعهم عليها . وذلك ظاهر في تاريخ اكتشاف كل حقيقة من الحقائق العائدة على اختلاف انواعها . وهو امرٌ طبيعي يتصل الانسان اليهِ بالتأمل والنظر دون مراجعة التواريخ . لانهُ ما دام الناس غير مهتمين بالسعي وراء حقيقة لعدم انتباههم الى امرها لم يرتأوا شيئًا عنها فلا باعث اذ ذاك على ابداء الآراء ولا موجب لتشعبها وانقسامها . ولذا لا يتحزبون لعدم وجود ما يبتون تحزبهم عليهِ . ثم اذا بدا لهم — او لفريق منهم — ما يحملهم على السعي وراء حقيقة تلوح من تحت براقع الخفاء تنبَّه العقول من غفلتها وتسعى الى استجلاء الحقيقة بالآراء التي تبديها للوصول اليها . ثم ان الاقوى منها يجتذب الاضعف اليهِ حتى تنحصر كلها في شعبتين او بضعة شعاب هي ما نسميهِ بالاحزاب . وهذه لا تزال تتباين وتتقارب حتى يدرك احدها الحقيقة فينضم البقية اليهِ طوعًا او كرهًا ويقع الاجماع وتبطل الاحزاب . فالاحزاب وان دلَّت على انقسام الآراء لبقاء الحقيقة في الخفاء لكنها تدل ايضًا على قرب اتحاد الآراء لقرب الحقيقة من الجلاء . ولذلك فهي علامة على السعي والبحث والاهتمام في البلاد التي تكون فيها فكأنها ابدان تحيا فيها آراء الامم وتنمو وتتقدم حتى تبلغ الحقائق

واحزاب الانكليز السياسية الآن اثنان كبيران حزب المحافظين وحزب الاحرار ومنهم من يعدُّ المتطرفين من حزب الاحرار حزبًا ثالثًا فسميهِ حزب الرديكال . وهذان الحزبان قديمان ولكن لم يطلق عليهما الاسمان المذكوران الاَّ منذ خمس وثلاثين سنة او نحوها وكانا قبلاً يسميان حزب الطوري (Tory) وحزب الوك (Whig) وأصل نشأتهما سنة ١٦٨٠ في مُلك شارلس الثاني . اما اللفظتان وك وطوري فوضعتا اصلاً للاهانة والتحقير . فالوك لقب في الاصل لطائفة من رعاع الاسكتلنديين الذين كانوا يسكنون غربي اسكتلندا . قيل انهم لقبوا بهِ من حكاية زجرهم لدوابهم تحقيرًا لهم وقيل بل هو اسم اللبن الخاثر الحامض لقبوا بهِ للاهانة . ثم انتقل هذا اللقب الى جماعة من العصاة الذين خرجوا عن طاعة الحكومة وقتلوا رئيس الاسقفة (شارب) وقهروا جند الملك في بعض المعارك حتى قوي الجند عليهم فبدَّد شملهم تبديدًا في مكان يقال لهُ بنول برِدج ثم أُطلق على كل شخص ينتمي الى الكنيسة المشيخية في اسكتلندا والكنيسة المشيخية هي من جملة كنائس الطائفة الانجيلية المعروفة بالبروتستانت من الطوائف المسيحية . ثم خُصَّ بجماعة من اهل السياسة الذين كان ميلهم يومئذٍ الى مقاومة الملك والرفق بالكنائس الانجيلية التي لم تشا الرضوخ الى احكام الكنيسة الاسقفية في ايام الملك شارلس الثاني

واما الطوري فهو في الاصل لقبٌ لجماعة من الخوارج واللصوص الارلنديين الذين كانوا يضايقون الانكليز في إرلندا . ثم انتقل عنهم الى كل من زعموهُ داخلاً في مكيدة توهموا ان الكاثوليك كادوها على شارلس الثاني ملك الانكليز . ثم خصُّوهُ بكل شخص أبى ان يحرم جيمس اخا الملك من تبوُّء سرير الملك بعدهُ لكونهِ كاثوليكي المذهب

فيظهر من الكلام المجمل الذي قدَّمناهُ عن اتي الوك والطوري أنهما وضعا اصلاً للاهانة ثم أُطلقا على حزبين هما اشهر احزاب الانكليز وان مذهبي الحزبين نشآ في بلاد الانكليز لاميال دينية ومآرب طائفية ثم تحوَّلا الى مقاصد سياسية واغراض وطنية . ولما كان ذلك لا يتضح للقارئ الاَّ بزيادة التفصيل اقتطفنا من تاريخ الانكليز ما تتمُّ بهِ الفائدة

وذلك انهُ لما تبوَّأ الملك شارلس الثاني تخت الملك سنة ١٦٦٠ للمسيح كانت الطائفة البروتستانتية قد قويت وكثرت والطائفة الكاثوليكية قد ضعفت وقلَّت في بلاد الانكليز وكان بين الطائفتين عداوة وشحناء ومناظرة وضغائن . والظاهر ان الملك شارلس الثاني كان يميل الى الكاثوليك فاوجست الطائفة البروتستانتية خيفة من ذلك واكثرت من الشكي حتى اضطرَّ مجلس الشورى ان يطلب تأديبة البين من كل مَنْ يشغل منصبًا عموميًّا في البلاد برفضهِ الطاعة للبابا . فلمَّا كان بها جيمس اخا الملك أبى تأديتها فخلعهُ من منصبهِ ورصدتهُ العيون خوفًا ان يتبوأ كرسي المملكة بعد

اخيهِ ويخضع البلاد للسلطة البابويَّة . وفي تلك الاثناء ادَّعى رجل منافق لئيم انهُ اكتشف مكيدة سمَّاها الكاثوليك فيها على قتل الملك وذبح امرائهِ وكهنتهِ وتنصيب جيمس اخيهِ مكانهُ . ثم قام آخر بعدهُ وأيَّد دعواهُ فهاج الانكليز وماجوا وقتلوا نفرًا من الابرياء اخذًا بشهادة ذينك الكاذبين (اللذين نالا ما استحقا من العقاب بعد كشف نفاقهما) وابطلوا دخول الكاثوليك بين النواب والنبلاء في مجلس الشورى واصدر مجلس النواب لائحة بمنع جيمس اخي الملك من حق الملك بعدهُ . فانقسم الشعب حينئذٍ قسمين قسمًا يصرُّ على اقرار لائحة مجلس النواب ومنع جيمس اخي الملك من حق الملك بعد اخيهِ لكونهِ كاثوليكي المذهب . وقسمًا يصرُّ على ابطال اللائحة المذكورة وابقاء حق الملك لاخي الملك . والاول الحزب المضاد للملك شارلس الثاني لانهُ لم يقبل بمنع اخيهِ من حقهِ وهذا سمي بالوك والثاني الحزب المتصر للملك وهذا سمّي بالطوري كما قدمنا . ولطالما اشتد النضال بين هذين الحزبين حتى افضى الى قلاقل مزعجة وانجلى عن نصرة الواحد تارة وفشل الآخر طورًا ولا تزال حرب الاختلاف بينهما سجالاً منذ وُجدا الى زماننا هذا . فالطوري اصل غايتهم المحافظة على نظام انكلترا القديم وبقاؤهُ على ما كان عليهِ وعضد السلطة الملكية والكهنوتية وسلطة الاشراف في البلاد . والوك اصل غايتهم احداث ما يأول الى زيادة قوة الشعب من التغيير في نظام البلاد وسلطة رؤسائها . واعظم التغييرات التي احدثوها لائحة الاصلاح التي اقرَّتها انكلترا سنة ١٨٣٢ ولا محل لتفصيلها هنا

هذا ومعلوم ان غايات الاحزاب وابيالما تتكيف او تتغيَّر على مرّ الزمان وتبدُّل الاحوال والذي يراجع تاريخ الحزبين اللذين نحن بصددهما يجد انهما وان كانا باقيين على غايتهما عند الاطلاق والتعميم لكنهما قد كيَّفاها وغيَّراها على صور كثيرة عند التفنيد والتخصيص . ومفهوم ان الافراد التي يتألف كل حزب منها لا تجري جميعها على الرأي الواحد بكامل تفاصيلهِ (ولا سيما حزب الوك الذي غايتهُ استبدال القديم بالجديد) بل تتفاوت في التطرف والاعتدال بحيث يشتمل الحزب الواحد على مراتب متفاوتة وكثيرًا ما تتباعد هذه المراتب حتى يكون المعتدلون منها اقرب الى الحزب المعاكس من المتطرفين في حزبهم فينضموا الى الحزب المعاكس . او يبعد المتطرفون منهم عن البقية حتى ينفردوا حزبًا قائمًا برأسهِ كحزب الرديكال الذي هو اصلاً حزب من الوك تطرَّف في رأيهِ ومطاليهِ فرام تغيير نظام البلاد كلهِ وتجديدهُ على اساس عامي اي موافق لمصلحة الشعب بدعوى ان لهم الاولوية . وكثيرًا ما يتقارب الحزبان في الرأي والمشرب حتى يكاد الفرق بينهما يزول ولولا المنافسة بين زعمائهما

والناقد المصنف يحكم ان اعمال الحزبين آلت الى تقدم وطنهما وان اصلاح الوطن جرى

تارةً على يد الحزب الواحد وطوراً على يد الحزب الآخر وان كلاً منهما يجري على عكس الخطة التي جرى عليها اذا رأى في ذلك موافقة لمصلحة البلاد كما جرى حين هاج الانكليز من سنة ١٨٤١ الى سنة ١٨٤٦ وقاموا يطلبون تغيير الشرائع المتعلقة بتجارة القمح من حيث صدورهُ من البلاد وورودهُ اليها وغير ذلك مما يعرف عندهم "بشرائع الحنطة" فان حزب الويك كان يطلب تغييرها وحزب الطوري يطلب بقاءها على ما كانت عليهِ. وقبل ذلك كان حزب الطوري يطلب اباحة التجارة مطلقاً بين انكلترا وارلندا فقاومهُ حزب الويك وفاز عليهِ

قلنا ان حزبي الويك والطوري انتحيا او كادا بانتحاب وقام مقامهما حزبا الاحرار والمحافظين واعمال هذين الحزبين واغراضهما ظاهرة لكل من تصفح الجرائد السياسية. وقد اختلف الكتّاب في تعريف مبدإهما كل الاختلاف فمن قائلٍ كذا ومن قائل خلافهُ. والظاهر ان تعريف غلادستون لهما وقع موقع القبول عند الجم الغفير منهم وهو ان مبدأ حزب الاحرار الاركان الى الشعب مقرونًا بالدراية ومبدأ حزب المحافظين عدم الاركان الى الشعب مقرونًا بالخوف منهم وقد وافق تعريفهُ المجمل هذا تعريف اللورد شَرْبروك المفصَّل (واللورد المذكور احد زعماء الاحرار) وهو ان المنتمي الى حزب الاحرار مقيَّد باربعة شروط الاول تغليب الثقة بصلاح الطبيعة البشرية على الخوف من شرّها. والثاني اعتبار ما تضمنهُ الشريعة من المبادئ العظيمة والالتفات الى هذه المبادئ لا قصر الالتفات على جزئياتها واجرائها بالعسف والعقاب. والثالث تقديم مصلحة الامة على المصلحة الشخصية والطائفية والمحلية. والرابع احترام النظام والشرائع ليس لانها موروثة عن السَّلَف بل للزومها ووجوب وجودها. وبعبارة موجزة ان الحزب الحرّ يسعى واثقًا بالناس معتصمًا بالمبادئ الكلية مفضّلاً المصلحة العمومية طالبًا غاية سامية مصوَّرة في اذهان اتباعهِ

فاذا صح التسليم بالتعريفين اللذين قدمناهما واردنا البحث عن افضلية احد الحزبين على الآخر في مبادئهِ واصلاحهِ للأمّة والهيئة الاجتماعية جعلنا مدار الكلام على هذه المسألة: ايُّ الاصلاح للبلاد والهيئة الاجتماعية المبادئ المؤسسة على الثقة بالناس او على الحذر منهم: ويظهر لنا ان التذرُّع الى حل هذه المسألة يكون بحل مسألة أخرى سابقة لها وهي: هل يزيد صلاح الطبيعة البشرية على شرّها حتى يفضَّل الاركان اليها على الخوف منها: وهذه مسألة يجد المناقشون فيها محلاً فسيحًا للخوض والنزال ومعدّات كثيرة للبحث والجدال